

جدلية التّخريب والتّعمير الهلالي ببلاد المغرب عند المستشرقين الفرنسيين

*The Dialectic of Destruction and Reconstruction
by the Hilali in the Maghreb According to French Orientalists"*

ط.د. محمد علي رحالي

مخبر الحضارة والتاريخ والجغرافيا التطبيقية

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة، (الجزائر)

Mohammed-ali.rahali@gmail.com

أ.د. مريم بوخاوش

المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري، بوزريعة، (الجزائر)

boukhaouche.meriem@ensb.dz

تاريخ النشر: 2024/09/30

تاريخ القبول: 2024/09/21

تاريخ الإرسال: 2024/01/05

المؤلف المراسل: محمد علي رحالي، Mohammed-ali.rahali@gmail.com

الملخص:

أثار موضوع الوجود الهلالي بمنطقة المغرب الإسلامي الكثير من الجدل التاريخي بين الباحثين والمؤرخين ولا يزال إلى اليوم لكن الأمر المثير للجدل في حد ذاته هو اهتمامات المستشرقين الفرنسيين بهذا الموضوع وإسهابهم بشكل كبير في محاولة الترجمة والنقل والتحدث عن الموضوع، وكادت تتفق جل كتاباتهم على أمر واحد وهو أنّ الهلاليين أثروا بشكل سلبي على بلاد المغرب الإسلامي مطلقين على حركتهم أو انتقالهم أشنع الصور وركزوا على الآثار السلبية منها، غير أنّ البعض الآخر من المستشرقين حاول التصدي لنظرية التّخريب في محاولة إنصاف تلك القبائل وتركيزهم في دراستهم على بعض الآثار الإيجابية ولربما وضعت كتب من أجل دراسة شخصيات هلالية هامة لم توجد إلّا عند هؤلاء المستشرقين وبهذا يعتبرون من رواد نظرية التّعمير، وهو ما سيقودنا إلى جدلية تاريخية بين المستشرقين الفرنسيين تدور رحاها حول التّخريب أو التّعمير الهلالي ببلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

الوجود الهلالي، التّخريب، التّعمير، المستشرقين الفرنسيين، البدو.

Abstract:

The subject of Hilalis presence in the Islamic Maghreb region has made many historical controversies between searchers and historians and it still remains to this day , But what is very controversial in itself is attentions of French orientalists in this subject and their great contribution in trying to translate, transfer and talk about it ; and almost all their writings are agreed on one single thing that is the Hilalis affects in a negative way on the region of the Islamic Maghreb where they spoke poorly on their movements and transmissions (the disaster, thieves, bandits..) That is, they subverted in the same context dependent on the writings of historians, geographers and even the houses of jurisprudence in They found their stray to unleash their pens, whether the translation was correct or wrong to render judgment and address the theory of sabotage hilalis and focus on negative effects.

But other orientalist have tried to response the theory of subversion in trying to do justice to those tribes and focus on some positive effects in their study, and they may have compile books for the studies of important figures that existed only in those orientalist and are thus considered pioneers of the theory of reconstruction. This is what will lead us to a Historical polemics among French orientalist about the sabotage or reconstruction hilalis of the Islamic Maghreb region , and this is what we will address through this study.

Keywords:

The hilalis presence; Sabotage; Reconstruction ; French orientalist;Nomad.

1. مقدمة:

إن الوجود الهلالي ببلاد المغرب الإسلامي يعدُّ من أبرز الأحداث التي شهدتها المنطقة وتباينت حوله الكتابات التاريخية بين نظرة تعميرية وأخرى تخريبية حملته ما لحق بلاد المغرب الإسلامي من آثار سلبية، وبدراسة المرحلة المتقدِّمة للوجود الهلالي يمكن أن يتبادر إلى الذهن حجم التأثير السلبي له، وذلك في منطقة أقل ما يقال عنها أنها شهدت الاستقرار منذ نشأة الدَّول بها (سواء قبل أو بعد ذلك التَّواجد)، وبهذا فقد عُرف الوجود الهلالي في الفترة الممتدة من القرن 5-9هـ/ 11-15م في ذلك المجال الخصب من شرقه إلى غربه بالتأثير السلبي عليه، استناداً إلى جملة من الكتابات التاريخية والجغرافية وبعضها لم تعاصر الحدث في مراحله المتقدِّمة ممَّا جعلها تتناقض فيما بعد بحكم معاصرتها لتلك العناصر خاصَّة التَّاريخية منها كابن خلدون في كتابه العبر والنِّميري بفيضه والتَّجاني في رحلته - على سبيل المثال لا الحصر-، وهذا ما يفسِّر الأسماء التي أطلقت على الهجرة الهلالية وتباينت حولها الآراء غير أنها تكاد تكون واحدة عند الكثير من المستشرقين الفرنسيين كالتَّغريبية أو الغزو أو الزَّحف وحتَّى الكارثة (النَّظرة الاستشراقية المستمدَّة من روايات كتاب البلاط شعراء أو مؤرخين بداية من العهد الزيَّري- تزامن مع فترتهم الدُّخول الهلالي - كابن رشيق وكتابه العمدة وصولاً إلى العهد المريني من خلال كتاب فيض العباب لصاحبه النُّميري) وهذا لا يغني عن الكتابات الأخرى التي أثبتت حجم الخسائر التي ألحقها الهجرة الهلالية ببلاد المغرب خاصَّة في مراحله الأولى. ومن المؤكَّد أنَّ جل الكتابات التاريخية لم تُعاصر الحدث باستثناء ما أورده بعض الجغرافيين فشكَّل تاريخ العبر لابن خلدون وكذا مقدِّمته مادَّة دسمة لإطلاق عنان أقلام المدرسة الاستشراقية وحتَّى بعض الكتابات العربية

المستمدة منهما ترويجاً للنظرة التخريبية، ولكن كل تلك الكتابات (المُعاصرة أو غير المُعاصرة) والمتأخرة قَدّمت لنا شواهد حيّة عن تأثيرات الهالبيين الإيجابية تحمل في جنباتها نظرة تعميرية متناسية ما أوردته في كتبها (إما سهواً أو تناقضاً أو اعترافاً ضمناً) حتّى وإن كانت في كتب المستشرقين أنفسهم.

كما أنّه وُجدت دراسات سابقة اهتمّت بالموضوع، وهي تتفاوت من حيث الأهمية حتّى إن ركّزت في مجملها على سلبيات الوجود الهالبي (تبيّن اتفاق المستشرقين على ذلك) وحاولت أن تبيّن بعض الإيجابيات التي تحدّث عنها المستشرقين الفرنسيين معادية لبني جلدتها أو مدافعة عن الوجود الهالبي، مع اعتمادنا على بعض الكتابات التي لم يتم التّطرق إليها في تلك الدّراسات السابقة الذكر للتّعرف أكثر على جدلية التّخريب والتّعمير الهالبي عند المستشرقين الفرنسيين.

ويمكن التّمييز بين اتجاهين كبيرين في أبحاث المؤرّخين الفرنسيين عن الهجرات الهالبية، فالأوّل يمثّل " النظرة التقليديّة " حولها وقد غلبت عليه النظرة السّلبية المفهومة على ضوء الإيديولوجية الكامنة وراءها والانعكاسات النّاجمة عن الترجمات غير السّليمة للمصادر الأساسيّة حول الموضوع إلى اللّغة الفرنسيّة، أمّا الاتّجاه الثّاني يمكن وصفه بالنّظرة النّقديّة فظهر كتّاب فرنسيون تصدّوا للأحكام والمغالطات الواردة في كتابات مؤرّخي الاتّجاه الأوّل وهؤلاء وردت في كتاباتهم بعض التّناقضات التي ستأتي معنا وتدعم أفكار الاتّجاه الثّاني.

2. الوجود الهالبي في بلاد المغرب الإسلامي:

يطلق اسم الهالبيين " بني هلال " على العرب الذين هاجروا أو غزوا إفريقية كمحطّة أولى خلال القرن 5/11م وهي مجموعة القبائل العربيّة المتحالفة أو المجبرة على التّحالف لسبب ما، وعرفوا بهذا الاسم لأنّ الرياسة كانت عند دخولهم للأثنج وهلال فأدخلوا فيهم وصاروا مندمجين في جملتهم من باب إطلاق الخاص على العام، وقد يُضاف إليهم غيرهم من قبائل العرب¹، أي أنّ شعوباً عربيّة أخرى دخلت معهم وبعدهم وهم أنفسهم لم يكونوا يرجعون إلى أرومة واحدة، بل هناك قبائل وبطون كثيرة أضيفت إليهم وهي لا تجتمع معهم في النّسب ويمكن إجمالها في ثلاثة شعوب: بنو هلال، المعقل، وبنو سليم²

وهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر³ وعن تفصيل نسبها من هلال إلى عدنان والذي بلغ أربعة عشر (14) جيلاً⁴ ، وقد شهدت بلاد المغرب بصفة عامة خلال القرن 05 هـ / 11م حركة غزو عرفت باسم الهجرة الهلالية و أطلق عليها أيضا تغريبة بني هلال ، و حول الوقائع التاريخية لتغريبتهم نسجت الأسطورة التي أصبحت تحمل اسم أحد أبطالهم ، أو اسم القبيلة، وهي تختلف عن وقائع التاريخ اختلافاً بيّناً فهي أشبه بالصدى البعيد لحوادث التاريخ مثلها في ذلك مثل الملاح الشعبية ، حيث اختلط فيها الخيال بحقائق تاريخية وعادات اجتماعية ومعلومات جغرافية كانت شائعة في ذلك العصر.⁵ وهناك من يذكر على أن تلك القبائل التي دخلت المغرب الإسلامي وتتشابه معها في الاسم بلغ عددها عشرة (10)⁶.

كما تعرف بالمسيرة أو بالزحف أو حتى الكارثة الهلالية (النظرة الخلدونية ومن بعد الاستشرافية) ومن ثمة فقد كان حكمهم قاسياً جداً في مبالغتهم تحميل تلك القبائل كل ما لحق بإفريقية من خراب وانحطاط في أواخر القرن 5هـ .. ولم يتعمقوا في الروح الجماعية البدوية التي عكستها صورة الهلاليين، والعقلية التي تميّزت بها وطبيعة الحروب التي اختارتها أو فرضت عليها فرضاً مع البربر، وتكيفهم مع الأوضاع منذ مغادرة موطنهم فقد تعودوا مثل هذه الهجرة التي جرّ فيها المحاربون أسرهم وكل ما يملكون، ولن يحملهم على العودة شيء لأنهم لم يتركوا شيئاً وراءهم ليعودوا إليه⁷، وبالتالي كانت هجرة الهلاليين بمثابة الحدث التاريخي المهم فإن كانت بسبب محاولة تأديب الخليفة الفاطمي المستنصر للأمير الصنهاجي المعز ابن باديس في بدايتها، إلا أنها أخذت منحى آخر وأصبحت عاملاً في التعايش بين العربي والبربري وسبباً في تخليد العديد من الآثار الثقافية والحضارية التي لا زالت راسخة إلى اليوم كالتعريب وانتشار الشعر الشعبي والملاحم والبطولات الشعبية.⁸ وعن أهم البطون التي ضمنت استقرارها ببلاد المغرب فهي: الأتيج ورياح وزغبة تضاف إليها (المقل وعدي وجشم التي انضوت تحت لواء الهلاليين وعُدّت ضمنها)⁹ وعند دخولها فهناك من يرى بأنها مرّت بثلاث مراحل¹⁰، غير أنّ البعض يرى بأن انتشارهم مرّ بمرحلتين: الدور الحربي: الممتد من منتصف القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي.

دور التوسع السلمي: بحيث تمّ العمل على استجلاب العرب إلى الأندلس أو البلاد المغربية من قبل ملوك لطوائف ثمّ المرابطين ثمّ الموحيدين¹¹

3. النظرة التخريبية عند المستشرقين الفرنسيين:

3.1 التوظيف الإيديولوجي للمفاهيم والمصطلحات:

لك أن ترى حجم التوصيف الذي اتّخذته أصحاب هذا الاتجاه وكادت تتفق على كلمتين " غزو"¹² " زحف "¹³ أو حتّى "كارثة"¹⁴ في حديثها عن الهجرات الهلالية، وما ذهبت إليه في وصفها للعناصر الداخلة إمّا عرب أو أعراب أو بدو.

وهذا ما ردّ عليه المؤرّخ عبد الله العروي في أنّ بعض المؤرخين خاصّة المتأخرين منهم يتعدّون الوصف إلى حدّ الاتّهام. ولا يكتفون بذكر البدو الرّحل بل يعمّمون على كل العرب، رغم معرفتهم أنّ ابن خلدون أو الإدريسي عندما يذكرهم يقصد بهم الأعراب أي البدو وإن كانوا أصلاً من جنس مختلف ... وحسبه "دوسلان" مترجم مقدّمة ابن خلدون هو أوّل من تعمّد الخلط فوضع كلمة عرب كلّما وجد لفظة أعراب أو بدو أو رحل حتّى يرسّخ فكرة أنّ العربي مخرب بطبعه، وأنّ الباحثين الأوروبيين اضطروا، بعد زيادة التدقيق في ترجمة النصوص، إلى الرّضوخ للواقع، فحصرُوا أحكامهم السلبية على الأعراب، البدو/الرّعاة/الرّحل مهما كان جنسهم الأصلي، وهذا واضح في أعمال غوتيه (الذي سيأتي ذكره فيما بعد)¹⁵.

3.2 رواد الدراسات الاستشراقية ذوي النظرة التخريبية:

يمكن أن نرى بأنّ من أبرز المستشرقين المنطلقين من وجهة النظر التقليدية، والتي تطلق أحكاما سلبية على الهلاليين وبالتالي أنّها خربت - أصحاب النظرة التخريبية - حتّى أنّ البعض فيهم تتلمذ على يد آخر وشرب من نهجه وجعله ربّما يتعدّى أستاذه في إطلاق تلك الأحكام السلبية، كما أنّه لن يتمّ مراعاة الإطار الزماني في إبراز هؤلاء المستشرقين و إنّما من حيث إسهامات كل واحد منهم في ترغّم هذه النظرة التخريبية، فها هو "جورج مارسيه" بكتابه الوارد بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى....إضافة إلى كتابه الآخر العرب في بلاد البربر وهو مكتوب باللغة الفرنسية Les

Arabes En Berbérie وهو في الأصل أطروحة دكتوراه في كلية الآداب بجامعة باريس وخصّص جزء كبير للحديث عن الهلاليين منذ النشأة وحتى دخولهم بلاد المغرب بداية من الصفحة 40 ولك أن تلاحظ أن أول مصطلح يستعمله هو البدو¹⁶ De la tribu nomade وغالباً ما يعود إلى مجموعة من المصادر حتى يُدعم طرحه أهمّها: العبر لابن خلدون، والبيان لابن عذاري، والكامل في التاريخ لابن الأثير.

ولكن يعتبر "أرنست مرسيني" أول من قام بنشر تلك الأفكار العنصرية من خلال كتابه الصادر سنة 1875 " تاريخ استقرار العرب بإفريقيا الساحلية من خلال وثائق المؤلفين العرب وعلى الخصوص تاريخ البربر لابن خلدون"¹⁷، فهو يقدّم قراءة حول الهلاليين وكذا السليميين محدداً كيفية دخولهم وبنفس الأحكام، ثمّ يخصّص جدولاً للحديث عن القبائل السليمية والهلالية وحتى الملحقة بها (بنو سليم بن منصور، الأثيج، رياح، زغبة، المعقل وجشم)

(TRIBUS HILAL-BEN-AMER : 1- ATBEDJ 2- DJOCHEM 3-RIAH 4-ZORBA 5- MAKIL ET ADI ; TRIBUS DE SOLEIM –BEN – MANSOUR)¹⁸.

ولديه كتاب آخر طبع سنة 1888 بعنوان تاريخ إفريقيا الساحلية من الأزمنة البعيدة إلى

الفتح الفرنسي Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu' à la conquête françaises¹⁹

و" فليكييس غوتيه" بكتابه المترجم إلى العربية ماضي شمال إفريقيا الذي يسمّي من خلاله العرب بالبدو ويلمّح إلى أهمية ترجمة كتابة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية وأنّ هناك مرحلتين للفتح ويركّز على المرحلة الثانية أي القرن 11م، و يعود أصل العرب الذين غزوا إفريقيا حسبه إلى قبيلتين رئيسيتين هما: بنو هلال وبنو سليم. كما ينوّه إلى ضرورة الرجوع إلى كتب جورج مارسيس لمعرفة تفاصيل تلك القبائل²⁰.

ويشير إلى أنّ تواجدهما أشبه بالاستعمار ، فيذكر على أنّه بدأ الاستيطان من قبل بني هلال وبني سليم البدو النموذجيين المعادين لفكرة النظام والحكومة، متّهماً إياهم بالسلب والنهب وحملهم الدمار الذي حلّ بالمغرب ما بين القرنين 11 و 14 م واعتبرها أفجع من كارثة الخوارج التي حلت به، مضيفاً على أنّ انهيار صنهاجة بدأ منذ 1056 و 1057 بعد دخول البدو - أي الهلاليين وغيرهم - القيروان و قيامهم بسلبها . و تظهر النزعة العنصرية

المعادية بآتهامه للعرب بتحطيم حضارة المغرب الموروثة عن الرومان والبيزنطيين و تشبيه الحركة الهلالية بهمجية الشعوب المتبربرة المحطمة لحضارة روما ففي كتابه " أسلمة إفريقيا الشمالية ، القرون المظلمة للمغرب"

²¹ L'islamisation de l'Afrique du Nord. Les siècles obscurs du Maghreb العديدين أقوال ابن خلدون حول " همجية العرب" و وظفها في قالب إيديولوجي استعماري و ينقل عنه ما جاء في مقدمته : " إنَّ العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع عليها الخراب و السبب في ذلك أنهم أمة وحشية ... و إفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال و بنو سليم منذ أول المائة الخامسة و تمرسوا بها لثلاثمائة و خمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلّها بعد أن كان ما بين السودان و البحر الرومي كلّهُ عمراناً تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم و تماثيل البناء و شواهد القرى و المداشر ."²²

و من ضمن الدراسات السابقة المذكورة نرى تركيز الأستاذ "سالم حميش" بدرجة كبيرة على كتابات "غوتيه" والذي ينقل عنه كلام أخطر ممّا ذكر محاولاً إبراز نقائص العرب و سلبياتهم خاصة بنو هلال و بنو سليم و في أنّ للمرتحل غرائز هي بالتّمام نقائص، لأنّه سياسياً فوضوي و عديمي ، يثير الفتنة التي تفتح له الآفاق ، فهو حسبهُ مقوّض سالب، فانتصاره لا يعتبر تشبيهاً طالما أنّه يحطّم نفسه في فورة من الملمات غير المعتادة ، فكلّ من بني هلال وبني سليم الغزاة المرتحلين أعداء بالفطرة ennemis-nés لكلّ حكومة وحضارة مهما كانت.²³

و"روبار برنشفيك" أحد أكبر المختصين الفرنسيين في التاريخ السياسي والديني للمغرب الإسلامي حيث قدّم أبرز إشكالية للملتقى في المؤتمر الشهير الذي انعقد بمدرسة "بورديو" الفرنسية من 25 إلى 29 جوان 1945 وهو بحدّ ذاته يحمل عنواناً مثيراً: " كلاسيكية واضمحلال ثقافي في تاريخ الإسلام " وهي المداخلة التي سجلها المؤرّخ الفرنسي كلود كاهن " Claude Cahen"²⁴ ، وهو يعتبر من ضمن أصحاب النظرة النقدية غير التقليدية.

وصاحب كتاب تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 م، الذي يقسّمه إلى جزئين :

- الجزء الأول يذكر على أن إفريقية لم تشهد سوى فترات قليلة مضطربة مثل فترة القرن و نصف القرن ، التي تفصل بين غزو بني هلال و استقرار الحفصيين و يحمل الأعراب على حدّ تعبيره ما لحق بالمنطقة و إسهامهم في القضاء على الإمارة الزيرية مناصفة مع الحمّاديين و إجبارهم على اقتطاع مناطق ضيقة في الساحل.²⁵

- الجزء الثاني ستظهر النزعة التقليدية للمستشرق الفرنسي من خلال كلامه عن البدو الرّحل حين تجاوز به وإلى أبعد الحدود ما جاء به في الجزء الأوّل أنّه في العهد الإسلامي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، إثر نزوح بني هلال وبني سليم من الشرق ، أحرز ذلك النمط من أنماط العيش، الدور الأوّل في تلك الربوع وحافظ عليه في عهد قريب، هكذا فقد ظهرت إفريقية الحفصية، في أغلب مناطقها، بمظهر الأرض المخصصة لظعن البدو الرّحل أو الخاضعة لسيطرتهم، فقد أجلوا عددا كبيرا من السكان المستقرين ...، و لم تستطع الدولة نفسها ، التي هي دولة حضرية ، من حيث الجوهر والغاية ، إلا بشق الأنفس أحيانا ، الخلاص من ذلك السيل الجارف المدمر والمنذر بالخطر... فمما لا شك فيه أنّ البدو قد عملوا على تفهقر الزراعات و تقلّص عدد سكان المدن والقرى ... وتبعاً لذلك فقد قلبوا الاقتصاد رأساً على عقب و خرّبوا خلال توسّعهم نحو الغرب، أكثر من مركز معمور ... ولقد تسبّبوا إلى حد كبير في اختلال الأمن الذي كان يعاني منه السكان المقيمون و الرّحّالون على حدّ سواء ، و في الفوضى السياسية التي انتشرت في أغلب الأحيان . و لقد ألحّ مؤلفو الرحلات و الجغرافيون و المؤرّخون في كتبهم ، على الرّعب الذي أثاره العرب الرّحل في إفريقية مُستنّداً في ذات السّياق على الكُتب الدّينية مثل " معالم الإيمان " ، و من كتب مناقب الأولياء الصالحين مثل " مناقب سيدي ابن عروس " ، التي تكرّر ذكر اسمها على أنّها مرادفة للفوضى والدمار . و في حياتهم اليومية نراهم يتمردون على الدولة و لا يحترمون الزراعات يسلبون القوافل و يعيشون فساداً في الأرياف²⁶ و بهذا يحاول أن يميز بين البدو والحضر ويعطي لكتاباتهِ الشرعية من خلال اعتماده على النوازل الفقهية .

وهذا الطّرح الذي يعتبر الهجرة الهلالية من أكبر الحركات المحطّمة لحضارات العالم نلمسه أيضاً في كتاب " الشعوب المتبربرة من الغزوات الكبرى إلى الفتوحات التركية في القرن الحادي عشر"

ملف 27
Les berbères ,des grandes invasions aux conquêtes turques du XI^e siècle لمؤلفه لويس

3.3 نظرية الكارثة الهلالية والترويح لها:

يضاف إليهم "الهادي روجي إدريس" و لك أن تتأكد من أنه تفوّق على الجميع في طرحه من خلال الكلام المقتبس من مؤلفه " لقد شهدت نهاية المعز كارثة سياسية واقتصادية لم يسبق لها مثيل ، ألا وهي غزوة أو زحفة بني هلال ، ذلك أن الخليفة الفاطمي بناءً على النصيحة المكيافيلية التي أسداها إليه وزيره "اليازوري" قد سلّم إفريقية إلى جحافل الأعراب الرّحل الذين كانوا يضايقونه ...²⁸ كما أنه تلميذ "روبير برونشفيك" وحضّر أطروحته تحت إشرافه وعلى هديه سار في تنظيم فصولها وأبوابها ، وربما تأثر بأستاذه في تحميل العرب مسؤولية ما حلّ بإفريقية ...²⁹ وناقش رسالة الدكتوراه المعنونة بـ "بلاد البربر الشرقي في عهد الزيبريين " *La Berbérie orientale sous les Zirides* بجامعة السوربون سنة 1958 ونشرت مرتين ... ونجح في إعداد مرجعية تاريخية هامة حول إفريقية في العهد الزيبري بتتبع نفس المقاربة الكلاسيكية لأستاذه، ويعدّ بحق من أهم المؤرخين الأوائل الذين وظّفوا المصادر الفقهية في كتابة التاريخ وعلى الخصوص نوازل البرزلي ومعيّار الونشريسي (أي خالف الآخرين في الاعتماد على ابن خلدون فقط) وهو نفس النهج الذي اهتم به أستاذه "برونشفيك" كما أشرنا آنفاً و اشتهر بتأكيدهِ وتعميمهِ لفكرة الكارثة الهلالية من خلال الجزم بأنّ وصول الهلاليين للمغرب يُعدّ ضربة قاضية لحضارته لأنّ هذه القبائل البدوية خرّبت العمران وأتلفت المحاصيل الزراعية واغتصبت الأراضي وطردت السّكان البربر الأصليين وأنّ الهجرة الهلالية حسبه مثّلت نهاية العصر الذهبي لبلاد المغرب .³⁰

أيضا شارل أندري جوليّان والذي ينطلق من كلمة زحفة بني هلال في كتابه الشّهير تاريخ إفريقيا الشمالية في جزئه الثاني وهو بدوره لم يتوان في التأكيد على أنّ الهلاليين قُطّاع طرق ونهابين وكأنّهم عذابٌ سلّط على الزيبريين فيرى بأنّ الخليفة - ويقصّد به الخليفة الفاطمي - تلقّى قطيعة المعز بغضبٍ شديد ممّا اضطرّه للانتقام منه وإفريقية - أي الدّولة الزيبرية- بإرسال عرب بني هلال وأصفاً إليّاهم بالنّهابين وعلى أنّه قام بمعاقتهم لنكايتهم بالنّاس، وهو بهذا حسبه يكون قد تخلص من ضيف ثقيل شديد الوطأة وسلّط عقاباً على من

تمردّ ضده وفيما بعد لم أعرف هل هو يحرف القرآن الكريم أم كلام ابن خلدون عن سياقهما التاريخي: " وسرعان ما استغل بنو هلال هذه النزعة ... وتبعهم بنو سليم ... وخرّبوا القيروان وعاثوا فسادًا في البلاد فأصبحت أثرًا بعد عين "

قال ابن خلدون متملاً بآية قرآنية " كأنهم جراد منتشر " ... وهكذا عمّت الفوضى إفريقية . وما ينفكّ يتحدث باسم زعيمهم الروحي "جورج مارسيه" على أنّه قال هذا الكلام في كتابه وكأنه هو المصدر الفعلي للحديث عن بني هلال وأبناء عمومته السليميين مروّجا لنفس الأفكار في قالب تاريخي واحد ويعود ويقول : " وجاء بنو هلال أيضا بعاداتهم الرّعوية ... وأفسد مجيء الهالبيين هذا الانسجام ... وبهم عمّت البداوة وتحولت الأراضي المعدة لزراعة الحبوب والخضر ... واختفت قرى ومدن صغيرة وخرّبت ... ولم تكن نتائج زحفه بني هلال في الميدان السياسي بأقل أهمية ... ورأينا هذه الظاهرة الغريبة التي أشار إليها ج . مارسيه، وهي أنّ صنهاجة، هؤلاء البرابرة الجبليين يحولون وجوههم شطر البحر ويؤسسون في المهدية وبجاية إمارتين ...³¹ وهنا لم يسلم من كلامه حتى الصنهاجيين .

يضاف إلى هؤلاء "الفرد بل" في كتابه " الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم "، وهو مترجم إلى اللغة العربية فيقول بأنّ العرب الهلالية محتلون وتجاوز بطرحه الجميع: " وفي الوقت الذي أخذت فيه الجموع المتوالية من العرب الهلالية تصل إلى بلاد المعز بن باديس وكان ذلك حوالي منتصف القرن 11 ميلادي، حيث تستقر نهائيا، ليس من فضول القول لنفهم النتائج الدينية والاجتماعية لهذا الغزو، أن نعرف من هؤلاء المحتلون الجدد.³² واصفاً إياهم بأنهم محتلين .

وبنفس النهج يحاول أن يذكر القارئ للتاريخ بما قاله "جورج مارسيه" كما فعل سابقه (أي شارل أندري جوليان) ترويجا لنظرية الكارثة والتخريب، فيذكر على أنّه تقدّم إلى الأرض الموعودة أوزاع من البدو بقيادة زعمائهم وكانوا مخربين مثل الجنود البسطاء ينشرون الخراب في طريقهم مستشهدين بما ذكره المؤرخون المسلمون الذين قاموا برواية غزوهم لإفريقية والتي كانت ثروتها عظيمة، ولكنها انهارت أمام هؤلاء الغزاة خلال القرن 11 م، ثمّ نشروا الدمار والفوضى معرجًا على أنّ عصابات منهم توجهت نحو الغرب (أي أنهم قضوا على الأرض ووصفهم بالغزاة والعصابات - أي قطاع طرق -)³³

كما يتجدد موقف "ألفرد بل" من خلال كتابه " الدين الإسلامي في بلاد البربر "

"La religion musulmane en Berbérie esquisse d'histoire et de sociologie religieuses

فيجعل من العرب الهلالية العامل الرئيسي لما آل إليه وضع المغرب. والأركيولوجي" ليسيان

غولفا" في كتابه " المغرب الأوسط في عهد الزييريين "

Le Maghreb central à l'époque des Zirides يحمل الهلاليين مسؤولية الانحطاط من خلال

قطع الطرق و التخريب و التأثير السلبي على جميع الأنشطة ³⁴

4. النظرة التعميرية عند المستشرقين الفرنسيين:

1.4 نقد ضمني للنظرية التخريبية :

إنّ أبرز ما تناولته الدراسات السابقة هو رد بعض المستشرقين على أصحاب الاتجاه الأول "

النظرة التخريبية " ، وتمّ التركيز على المراحل الأولى - أي أثناء دخول بني هلال خلال

القرن 5 هـ - ، ولكن بتتبع بعض الدراسات الاستشراقية فهي لا تشير فقط إلى المراحل

الأولى و إنّما تجاوزتها وأعطتنا صورة مقتضبة على النظرة التعميرية - لم يكن الهلاليين

مخربون - وحتى تلك الدراسات التي تحمل في طياتها نظرة تدميرية تخريبية إمّا أوردت

بعض الإيجابيات أو أنّها اعتمدت على مصادر لم تعاصر حتّى ذلك الحدث وحتى وإن

عاصرته، و كما يشير الأستاذ "عبد الله العروي" في أنّ كلا الموقفين النقدي الذي سنخصّص

له هذا الجزء من الدراسة أو التقليدي، يسبح في بحر العموميات ولا يبرح أبدًا مستوى

الأنماط التبريرية، يعتمد الجميع على نفس المصادر (الأخبار، المناقب، الأحكام والفتاوى)

التي كتبها في الغالب فقهاء يُعادون في نفس الوقت أمراء بني زيري وأشياخ القبائل الهلالية،

فلا عجب إذا وجد فيها كل فريق ما يؤيد نظريته ولا يمكن بأيّ حال الفصل بينهما ³⁵. بل

وهناك من أفتى بوجوب محاربتهم ³⁶ وهذا ما يؤكده الونشريسي في فتوى الإمام ابن عرفة

التي توجب قتال عرب الديالم وسعيد رياح وسويد وبني عامر عرب المغرب الأوسط سنة

796هـ ³⁷ فوجد المستشرقين ضالّتهم فيها . أو أنّ نقلها من اللغة العربية إلى لغتهم الأصلية

حال دون إيصالهم للمعلومة على وجه الدقة ³⁸.

ونلاحظ بأنّ جل الدّراسات الاستشرافية استمدّت تأويلاتها وأفكارها من بعض الكتابات التاريخية والجغرافية المهمة بالموضوع أو الفقهية كما تمّ إيضاحه، ولعلّ من أبرزها ابن خلدون سواءً في كتابه المقدّمة الذي هو جزء من تاريخ العبر. والذي يظهر في الكثير من الأحيان وحسب بعض الدّارسين متناقض في كتاباته التاريخية³⁹، فمن خلال مقدّمته يورد المساوي في (أنّ العرب لا يتغلبون إلّا على البسائط)، ثمّ في أنّ (العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب)⁴⁰. وما ينفك يذكر إيجابياتهم في أنّ (البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة)⁴¹، وبعد ذلك (البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة).⁴²

وبالرغم من دقّة ملاحظاته وأهمّيتها والتي لا تتحدّث عن البدو في المطلق بل ما كان عليه أعراب المغرب في عهده، لهذا وجب مراعاة الوضع النفسي الذي كان عليه (الاعتكاف في قلعة بني سلامة)، و حالته النفسية هي التي تفسّر إخفاقه في تحديد العربي الذي يصف، فبعد وصفه للعربي بالمتوحّش يرجع ويؤكد على قدرته من الاستفادة من النّظم والحضارات التي تعامل معها... وبالتالي فإنّ الغزوة الهلالية أثّرت سلباً وإيجاباً على كامل بلاد المغرب.⁴³ وهو ما يؤكّده محمد الهادي الشريف في أنّ نظرية ابن خلدون العامة عن علاقات البدو والحضر، لم تتضح إلا بعد ثلاثة قرون من الزّمن وهو لا يعبر عن الحقيقة كاملة وتلك النظرة لا تخلو من الإعجاب تارة والإدانة تارة أخرى، فقد يشيد ببأسهم و سجيّتهم علوّ أخلاقهم كما لم يمنعه من وصفهم بوحشية لا مثيل لها.⁴⁴

تلك الدّراسات أوغلت وتجاوزت حدود الاتّهام بتأويل النّصوص التاريخية متناسية أخرى مثلما يذكره ابن خلدون في أنّ (المعز ابن باديس كان كارهاً لأبناء عمّه من صنهاجة محباً للاستبدال وحاقدًا عليهم).⁴⁵

ولم تتناسى تلك الدّراسات الاستشرافية ما ذكره ابن عذارى فيما حلّ بالمنطقة من كوارث طبيعية (رياح، عواصف، جدب..). قبل تلك الهجرة الهلالية⁴⁶. وهي في حدّ ذاتها وجدت نفسها بين نارين، وفي صراع سياسي غدّته النزعة الدينية بين العبيديين الفاطميين وتلك الدّول وهي نفسها كانت متصارعة فيما بينها (الزيرية و الحمادية) " فنزلوا على المعز لا حباً في نصره العبيديين الفاطميين ولا بغضاً في صنهاجة، ولكن طلباً للرّزق وللتقلّب في باديته بين الصحراء والتّل".⁴⁷ ولربّما كان المعز خلّص المنطقة من دخولهم وعددهم لم يكن

يتجاوز ثلاثة آلاف و من جهتهم تراوحت أعدادهم بين 30 إلى 80 ألف⁴⁸، إلا أنهم تخاذلوا أمامهم و أكسبهم صيتاً ملأ قلوبهم رعباً و كان بمثابة الدافع في هزيمتهم في الحرب.⁴⁹

و بدراسة المناطق التي استقرت فيها بطون بني هلال ، يمكن أن يقودنا لاستنتاج ضمني بأنها استقرت بمناطق لا يمكن أن تخرب فيها ، إلا أنها ظلت ناجعة بين صحاريها وتلها ، فماذا يمكن أن تخرب في الصحراء أو المناطق التي تسمى اليوم جغرافيا بالسّهوب أو الهضاب ؟ التي تبقى دائما بحاجة ماسة إلى المياه ، و هي موطن السكان المختصين بالنشاط الرعوي وتصبح هنا في تكامل الأنشطة البدوية بالأنشطة الزراعية فقطعان الماشية والتي ترعى في المناطق غير المستغلة زراعيًا تساهم في إخصابها وزيادة قيمتها الزراعية من ناحية أخرى⁵⁰ -على سبيل المثال لا الحصر- و بطون بني هلال وجدت ضالتها بتلك المناطق الشبيهة بصحراء نجد والحجاز - موطنها الأصلي -

وحتى بملاحظة المناطق والمدن التي مرت بها فإنها ليست بحجم العمران والاقتصاد الذي وصلت إليه مدن أخرى كتونس والمهدية وقابس وبجاية والجزائر، التي ظلت بعيدة عن الأحداث لأنها مدن ساحلية، ووقع الاتفاق بينهم وبين الحمّادين على احتفاظهم بالمدن وترك الأرياف لهم.⁵¹

و بهذا قد عمل المستشرقين الفرنسيين خاصة المتأخرين منهم على إحياء العصبية البربرية محاولين تثبيت فكرة أنّ العنصر البربري هو الأصل لدى الأجيال المغاربية، ويعتبرون العرب أنهم غزاة دُخلاء!!، كاستراتيجية معتمدة ومتعمدة من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية لفصل سكان المغرب عن واقعهم العربي والإسلامي.⁵² وأثر هذا الوجود بشكل أو آخر إيجابيا وجعل بعض الدراسات الاستشراقية تتجاوز النظرة التخريبية.

2.4. توظيف المصطلحات و الشخصيات أكاديميًا في كتابات المستشرقين:

فها هو روني باسيت RENE BASSET وهو أستاذ "ألفرد بل" صاحب الكتاب الذي تطرقنا إليه مسبقاً " الفرق الإسلامية" والذي تعلّم على يده اللغة العربية في نطاق نظام الترجمة وعيّن مدرّساً بثانوية الجزائر⁵³ ، يبيّن بدرجة كبيرة أنّ بطون بني هلال قد خدمت بلاد المغرب وساهمت في إرساء معالم بعض الشخصيات التي لا تزال سيرتها تدرّس إلى الآن حتى وإن كانت الشخصية محل الدّراسة من النساء وهي بنت الخص الهلالية في كتابه "

أسطورة بنت الخص "La légende de Bent El Khass" ، وهذا بحكم إدارته للمدرسة العليا للآداب بالجزائر وتدرسه إلى جانب بعض الأساتذة ما يرنو يعتمد عليه في إحالاته خاصة محمد ابن شنب⁵⁴، بحيث يشيد بملامحها البطولية على أن قصتها أهم ما تركته تقاليد الهلاليين بالصحراء الجزائرية ويجسد ذلك من خلال فطنتها وذكائها في تعاملها مع والدها شعرياً، وهو بهذا يتحدث عن الموروث الثقافي الشعبي الذي خلفته فقد حدث بينهما سجال شعري يبين وجود اهتمام لغوي وكذلك مدى حكمتها في التعامل مع البشر (...فَقَالَتْ لَهُ : ثَلَاثَةٌ يَصْفَرُّوْا الْوَجْهَ وَثَلَاثَةٌ يَحْمَرُّوْا الْوَجْهَ " ثَلَاثَةٌ تُسَاهِمُ فِي إِصْفَرَارِ الْوَجْهِ { دَلَالَةٌ عَلَى التَّعَاسَةِ... } وَثَلَاثَةٌ أُخْرَى تُسَاهِمُ فِي إِحْمَرَارِهِ { دَلَالَةٌ عَلَى الرِّضَا وَالْقَنَاعَةِ } ، قَالَ لَهَا: أَمَّا هُمَا الثَّلَاثَةُ إِلَيَّ يَصْفَرُّوْا الْوَجْهَ " مَا هِيَ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تُسَاهِمُ فِي إِصْفَرَارِ الْوَجْهِ، قَالَتْ لَهُ: مَشْيَةُ الْحَفَا، وَرُقُودُ الْقَفَا، وَ الْمَرْأَةُ التَّالِفَةُ " الْمَشْيُ حَافِيًا ، وَالنَّوْمُ عَلَى الْجَانِبِ، وَالْمَرْأَةُ الطَّائِشَةُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَمَّا هُمَا الثَّلَاثَةُ إِلَيَّ يَحْمَرُّوْا الْوَجْهَ " وَمَا هِيَ الَّتِي تُؤَدِّي لِاحْمَرَارِ الْوَجْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ: إِلَيَّ يَعْرِفُ النَّسَبُ، وَإِلَيَّ يَعْرِفُ بَنَاتُ النَّسَبِ، وَإِلَيَّ يَقْنَعُ بِالنَّصِيبِ إِلَيَّ كَسَبَ " الَّذِي عِلْمُ النَّسَبِ، وَالَّذِي يَعْرِفُ بَنَاتُ النَّسَبِ، وَالَّذِي إِقْتَنَعَ بِالنَّصِيبِ الْمُكْتَسَبِ ." وفي الأصل:

Une autre fois elle dit à son père : il y a trois choses qui jaunissent la face et trois choses qui la rougissent. Quelles sont celles qui jaunissent la face ? – Marcher pieds nus – avoir le dos chargé et une femme dépensière. Et quelles sont celles qui rougissent la face ?

Connaitre le lignage – connaitre les filles illustres et se contenter de ce qu 'on possède .

كما يبرز أهم ما ترك من آثار خلفتها عندما استقرت بتلك المناطق البعيدة⁵⁵، دلالة على الاهتمام بالجوانب العمرانية من جانب آخر .⁵⁶ و لك أهم ما يذكره في الأصل :

Embarka –bent-el-Khas se présente aussi comme Cérès avec une couronne ... lorsqu'elle habitait la Gara ... la grande plaine de Oum-el-mai .les eaux de Ain-el-Amora , source de l'abondance , située à quelques kilomètres à l'ouest de Brezina .

وتلك مناطق تتواجد حالياً كمعالم تاريخية و شواهد حية بالقرب من الجنوب الغربي في الجزائر و على وجه الخصوص بريزينة- ولاية البيض - فهي حسبها معاول بناء لا هدم .

3.4. رواد النظرية النقدية و الرد على النظرة التخريبية:

يُعدّ جون بونسي (Jean Poncet) أهم من عارض فكرة الكارثة الهلالية التي واجهت المغرب وهو في الحقيقة قبل أن يكون مؤرخاً دخله من جانب الجغرافيا ببحثه عن أنماط الإنتاج ببلاد إفريقية وقد كتب مقالين سنتي 1954 و 1961 حول أنماط العيش في تونس اعتماداً على فكرة مستخرجة من " كتاب العمران " لابن خلدون، وقام بالرد على المؤرخ الهادي روجي إدريس وذلك بعد دراسته حول بلاد إفريقية في العهد الزييري ومحاكمته للهلاليين (أي نظرتة التخريبية) في مقالين تحت عنوان :

" أسطورة الكارثة الهلالية " Le mythe de la catastrophe hilalienne سنة 1967 و " مجدداً حول الهلاليين : توضيح الهادي روجي إدريس " Encore à propos des Hilaliens ; la mise au point de R.Idris سنة 1968 حيث عاب على الهادي روجي إدريس تحميل العرب الهلالية مسؤولية تخريب المغرب واتّهمه بالاعتماد على مصادر متأخرة عن زمن الحادثة وعن مؤرخين كتبوا لصالح الدّول البرجوازية سواء في بجاية أو المهدية.⁵⁷ و يعتبره صاحب هذا الكلام من رواد التيار الماركسي الفرنسي.

وهو لا يعمل سوى على تكريس الحكم السلبي حول آثار القبائل العربية الهلالية، والذي صاغه ابن خلدون والتّجاني في القرن 8 هـ / 14م، أي بعد ثلاثة قرون من ذلك الحدث وخلصاته لا تعدو أن تكون متطابقة مع الأطروحة التي رأت النّور منذ إميل فليكس غوتيه بصفة خاصة ، ولا تستند إلى فحص أو روح نقدية لكتابات ابن خلدون والتّجاني والاعتماد على مثل هكذا مصادر متأخرة دون أخذ حيطة منهجية قد يوقع المؤرخ في مغالطات تاريخية ، خصوصا أنّ المصادر المعاصرة للحدث لا تقدّم مثل تلك الصورة السلبية عن القبائل الهلالية ، بل حتى المؤرخين الفرنسيين السابقين أمثال جورج مارسيه وغوتيه لا يتبنّون الأطروحة الكارثية للقبائل الهلالية ، ويرى جون بونسي أنّ ربط تخريب الزراعات وطمس الآبار ونسف الزروع وإشعال الحرائق، وتخريب الأمصار في الحواضر والقرى بالقبائل الهلالية، لهو رأي يتجاهل أنّ المخربين الحقيقيين المنظمين كانوا من جماعات النهابين الباحثين عن إرهاب الساكنة الحضرية والقروية لابتزازها لأقصى حد

وإجبارها على دفع الإتاوات ، أو أنها في أغلب الأحيان أعمال السلاطين أنفسهم الراغبين في معاقبة السكان الثائرين أو المحاصرين على الاستسلام لهم.⁵⁸

و في ذات السياق حاول إدريس الانتصار لنفسه مدافعا عن آرائه و أفكاره من خلال إصداره لمقالين سنة 1968 تحت عنوان " حقيقة الكارثة الهلالية " De la réalité de la catastrophe hilalienne و " الغزوة الهلالية و نتائجها " L'invasion hilalienne et ses conséquences⁵⁹ ثم ردّ جان بونسي على جوابه في مقال متقن Encore à propos des Hilaliens. La mise au point de R. Idris و جاك بيرك اعتبر أنّ الجدال يمكن أن يصبح عقيماً طالما أنّه لم يتم جمع كمّ مصدريا ووثائقيا واسعا و مباشرا حول الحدث بحد ذاته وعن إطاره وآثاره، وينتقد النظرية التقليدية التي تدين بني هلال وتعتبرهم سبب القطيعة في تاريخ بلاد المغرب، وبسببهم أصبح المغرب " بلد اقتصاد شارّد " أو تائه. كما أنّه ينتقد كثيراً من المؤرخين الذين يدافعون بالوكالة عن الممالك الصنهاجية التي كانت قائمة ، و يصفون الحكم الذي قام على أنقاضها بالفوضوي .

كما يرى أنّ التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي وحده الذي يمكنه الفصل فيما إذا كانت مساهمة الأعراب الرّحل في حياة إفريقية ابتداءً من منتصف القرن 5 هـ / 11 م قد خربت البلاد أم لا ،أو حولت محاور التجارة الخارجية أم لا ، حتّى و إن لم تكن الأزمة ترجع إلى عقدين من قبل قدوم العرب ، و إن لم تكن ترتبط بأزمة عامّة ضربت حوض البحر المتوسط برمتّه.⁶⁰

4.4 ملامح التعمير في كتابات المستشرقين الفرنسيين :

إيف لاکوست الذي تصدّى لنقد الأطروحة القائمة بين العربي والبدوي وأبرز جلياً ثغراتها ونقائصها في كتابه العلامة ابن خلدون⁶¹ (وهو مترجم ويتكوّن من 338 صفحة وتمّ ترجمته على يد الدكتور ميشال سليمان، ويخصّص جانب من كتابه لدراسة موضوع الهلاليين بداية من الصفحة 165 ، و يعنون هذا الفصل بأزمة القرن الرابع عشر... بحيث يلمّح إلى تاريخ دخولهم ويذكر بأنّ القرن الحادي عشر لا يشكل بداية الانحطاط ... ، ويضيف بأنّ العقوبات الحقيقية لإفريقية من نفس القرن سابقة لوصول بني هلال ...) ⁶² ويؤكد على أنّ أسطورة التّعارض بين البدوي العربي و الحضري البربري ليست ثمرة الصدفة، وقد حيكت بوعي وانطبعت في إطار الإيديولوجية الكولونيالية ... لأنّ الجنرالات الفرنسيون جاهدوا منذ احتلال

الجزائر على تفريق العرب و أهل القبائل⁶³ ، و يعتبر أنّ المقابلة بينهما تبسيطات مغلوبة ، وأنّ سائر البدو ليسوا عرباً ، و أنّ كل البربر هم بعيدون عن أن يكونوا سوى حضريين ... والذين يسمّونهم عرباً في المغرب ليسوا سوى بربر يستخدمون اللغة العربية و إذا ما كان قسم من السّكان المستمرين في استخدام اللغة البربرية حضريين فعلاً فإنّ القسم الأخير ممّن يتكلّمون البربرية هم بدو أو وأنصاف بدو، وكانوا هكذا قبل قدوم بني هلال⁶⁴ و يعرّج إيف لاهوست إلى التّوضيح بأنّ سلاطين المغرب كانوا يجتهدون في استجلاب القبائل العربية بدلاً من البحث عن كيفية صدّها ...، وغالباً ما كانت مكرهة عن التّخلّي عن الأراضي التي تجتازها لكي تقيم في مناطق أخرى، ولم تكن الهزيمة الكبرى التي تكبّدها القبائل العربية على يد الخليفة الموحي في سطيف سنة 1152 م بهدف قطع الطّريق عنهم ، بل كانت على العكس ترمي إلى دفعها للقدوم إلى مرّاكش والقيّام بخدمته. وهكذا فإنّ عبارة الغزوة غير صحيحة إطلاقاً للدّلالة على تتقلّ القبائل العربية في القرن 11 م عبر إفريقيا الشّمالية ، فإنّ عبارة الإبعاد بالرّغم من إفراط معناها تصلح أن تكون أساساً أكثر دقّة، وينتقد حتّى "جورج مارسيه" في أنّه أحد أهمّ دارسي قضية العرب والبربر، قد سجّلها منذ البداية في مقدّمة كتابه ، بالرّغم من أنّه جمع من الوقائع ما يجعلها الدّليل على أنّه لم يكن ثمة غزوة حقيقية ، وعلى أنّ التّناحر بين العنصرين و كذلك بين البدو والحضر لا يتفق والحقائق التّاريخية⁶⁵.

و يمكن إضافة "كلود كاهن" في كتابه المترجم " الإسلام منذ نشوئه حتّى ظهور السّلطة العثمانية " يذكر أنّهم مخربين للزرّع و اتّهمهم بالقرصنة لقيامهم بالسّلب والنّهب على المرافئ و لكن ما أورده فيما بعد جعله في موقف دفاعي فيرى بأنّه بعد كتابة ابن خلدون لمقدّمته أصبح تاريخ إفريقيا الشّمالية مقسّم إلى مرحلتين يفصل بينهما الغزو الهلالي وأن تلقى على العرب تبعات التّخريب في مرحلة استمرت للعصر الحديث، مقابل ازدهار العمران في المرحلة الأولى لا مرأى في صحّة الفصل بين المرحلتين... ثمة ملاحظة: لئن كان للغزو الهلالي كل هذا الفعل التّدميري، فذلك يعني أنّ النّظام السّابق كان يشكو من مشكلات كبيرة ، و يضيف على أنّ مصر لم يحدث فيها الهلاليون أي تخريب (أي قبل دخولهم للمغرب)⁶⁶.

و المثير للاستغراب هو تناقضات "روبار برونشفيك" في كتاباته و يؤكد على أنّ الفوارق العرقية لا تمثل إلا جانباً من أهم الاختلافات الموجودة من حيث نمط العيش لاسيما بين الرّحل و المقيمين أو من حيث الفئات الاجتماعية ، فحياة التّرحال ليست حكرًا على بعض الأجناس البشرية ، إنّما هي منبثقة عن بعض الظروف الجغرافية المعينة المتلائمة على وجه الخصوص مع الصّحراء و السّياس و السّياس ، إلّا أنّها قابلة للتّقدّم أو التّقهقر حسب الملابس التاريخية . على أنّ حياة التّرحال لم تظهر في شمال إفريقيا مع العرب ... بل ارتبطت مع ظهور الإبل في عهد الإمبراطورية الرومانية ، كانت بعض فروع من القبائل البربرية تظعن على ظهور الجمال قبل مدّة طويلة من قدوم العرب الأوائل ، لاسيما في البلاد الجزائرية الحاليّة ، و لكن خلال القرنين 11 و 12م إثر نزوح أعراب بني هلال و بني سليم من الشرق أحرز ذلك النمط من أنماط العيش ، الدّور الأوّل في تلك الرّبوع محافظًا عليه إلى عهد قريب.⁶⁷

5. خاتمة:

نخلص في الأخير إلى أنّ اهتمامات المستشرقين الفرنسيين بتاريخ المغرب الإسلامي وتركيزهم أحياناً في دراساتهم على موضوع الوجود الهلالي وتأثيراته المختلفة على المنطقة قادنا لاستنتاج ما يأتي ذكره :

- إجماعهم على تخريب بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي و هم يمثّلون اتجاهين بارزين فالأول ينادي بفكرة التّخريب الهلالي و يروّج لها ، ممّا خلق اتجاهين داخل اتّجاه واحد - بحيث أنّ بعض المستشرقين تفوّقوا في طرحهم على أساتذتهم -، أمّا الثاني فيجعل نفسه في موقف دفاعي ينادي بفكرة التّعير الهلالي .

- اعتماد رواد النّظرية التّخريبية أو إن صحّ التّعبير التّقليدية على التّوظيف الإيديولوجي للمفاهيم والمصطلحات في دعم أفكارهم سواءً على حركة الهلاليين أو هجرتهم بأنّها: إحصار كارثة، غزو، زحف، جحافل البدو، تابع متمرّد. أو عليهم أنفسهم: أعراب، لصوص، بدو، قطاع طرق، محتلين .

- محاولة الترويج لفكرة الكارثة الهلالية وخدمة بعض المستشرقين الفرنسيين لبعضهم البعض من خلال التعاون على ذلك ، ومن روادها الهادي روجي إدريس و جورج مارسى وشارل أندري جوليان .

- استناد مروجي نظرية الكارثة الهلالية على أفكار أساتذتهم من أمثال جورج مارسى وروبار برونشفيك (وهذا الذي جعل تلميذه الهادي روجي إدريس يتجاوز مؤرخي عصره في طرحه بالاعتماد على الكتابات الدينية " النوازل الفقهية " وخاصة المالكية منها) ، والذين كان لهم السبق في إعطاء لمحة عن التواجد الهلالي في بلاد المغرب الإسلامي وقد يجعل البعض منهم يتناقض في كتاباته فيما بعد سواء مارسى أو برونشفيك .

- محاولة المستشرقين الفرنسيين دعم أفكارهم من خلال إثارة تلك النعرة العرقية بين البربري واعتباره متحضر والتلميح إلى أن العربي (الهلالي) مخرب بطبعه ، و منه تمّ استقاء الفكر القائل " إذا عربت خربت " ، وهذا الموقف في حد ذاته سيثير سخط جيل جديد مما يهدم أفكار المدرسة الاستعمارية الكولونيالية و يتجاوزون كل هذه الترهات مما يجعلهم في موقف دفاعي و يظهر أصحاب النظرة التعميرية .

-إنّ التناقض التاريخي لدى بعض المؤرخين من أمثال ابن خلدون والذي مثل بحق المادة الدسمة لرواد النظرية التخريبية (حتّى و إن وجدت أخطاء في الترجمة) وهو بحد ذاته لم يعاصر الهلاليين عند دخولهم (وهو الذي غير موقفه عند التقاء بعض الشخصيات الهلالية ومعاصرتهم) ، وكذلك شعراء البلاط ومؤرخيه مهّدوا الطريق لكل ما تناولته نظرية التخريب الهلالي عند المستشرقين والبعض الآخر وجد ضالته في بعض الكتب التي تصف العرب بالصعاليك بهدف الترويج لنظرية الكارثة الهلالية ، ومنه يمكن القول أنّ التخريب موجود وفي المقابل هناك غلو و تطرّف في الوصف ، وقد ظهرت كتابات لبعض المستشرقين عن شخصيات هلالية مغمورة كالنساء ممّا أثبت أنّ هناك عناصر بناء وليست معاول هدم أي التعمير في بلاد المغرب كما فعلت - مباركة بنت الخص على سبيل المثال لا الحصر - .

- بروز جيل يحمل نظرة تعميرية عن بطون بني هلال من أمثال جون بونسي الذي تصدى لأبناء جلدته، وكذلك إيف لأكوست وكلود كاهين وغيرهم، وتناقضات برونشفيك يؤكد للمؤرخ و دارس التاريخ أنّ التواجد الهلالي أثر كذلك بشكل إيجابي في المنطقة وعلى أنهم تناولوا الموضوع من جانب عنصري .

- تناقض المستشرقين الفرنسيين الذين متّوا الاتجاه الأول - نظرية التخریب - كروبير برونشفيك يثبت بأنّ كتاباتهم بحاجة ماسة إلى إعادة الدراسة والتحقيق، والأمر المثير للجدل هو تمكّنهم من زرع أفكارهم في أوساط الباحثين والمؤرخين العرب الذين عمدوا إلى دعم نظرية التخریب الهلالي ، ولكن هذا كذلك يجعل هؤلاء يحملون أفكار تحتاج إلى إعادة دراسة والسبب الرئيسي هو انعدام الثقة لدى من روجوا لأفكارهم . فهذه الدراسات إن صحّ التعبير تحمل في طياتها بذور فنائها نتيجة التناقض الصارخ بين المستشرقين .

6. الهوامش:

- 1 - عزّي بوخالفه، تغريبة بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية ، أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، 2002-2003 ، ص 73.
- 2- عبد الوهاب ابن منصور، قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1968 ، ج 1، ص 412.
- 3- ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط5 ، دار المعارف، القاهرة ، 1962 ، ص 273.
- 4- محمد نبيل القوتلي ، بحث مختصر في أنساب العرب ، ط1 ، دار الباشر ، دمشق ، 1998، ص.ص 641-664.
- 5- حسن خضير أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة ، مصر، 1996 ، ص 257.
- 6- بولغيتي فاطنة ، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس ، ص ص 21-22.
- 7- عمر أبو النصر ، تغريبة بني هلال و رحيلهم إلى بلاد المغرب و حروبهم مع الزناتيين خليفة ، ط1 ، دار عمر أبو نصر و شركاؤه ، بيروت ، 1971 ، ص 12 و عزّي بوخالفه ، تغريبة بني هلال بين التاريخ و الروايات الشفهية ، أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي ، جامعة الجزائر ، 2002-2003 ، ص 75.

- 8- رحالي محمد علي ، بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي مناطق استقرارها وآثارها من القرن 5هـ-11/7م-13م مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2018-2019 .
- 9- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ج6، ص.ص 19-82.
- 10- محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ، تونس ، 1999، ص ص 38-44.
- 11- عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 هـ ، ط1، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، 1983 ، ص ص 93-99.
- 12- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 210 (ويذكرها تحت عنوان: الغزو العربي الهلالي) . أنظر أيضا المستشرق الآخر :روباربرنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 م ، ترجمة حمّادي السّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988 ، ج1 ، ص 31 (و يبرزها تحت عنوان: من الغزوة الهلالية إلى الفتح الموحي) . ويضاف أيضا: جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 222 (تحت عنوان: الغزو الهلالي وآثاره المباشرة) .
- 13- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ، 1983 ، ص 95 (زحفة بني هلال) .
- 14- أ.ف. غوتيه ، ماضي شمال إفريقيا ، ترجمة هاشم الحسيني، مؤسسة تالوت الثقافية، 2010، ص 225 . أنظر أيضا المستشرق: الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمّادي السّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، 1992 ، ج1 ، ص 245 (ويوردها تحت عنوان: الكارثة غزوة بني هلال ونهاية عهد المعز) وكلاهما عمد على ترسيخ و توسيع مفهوم الكارثة الهلالية كما سيأتي فيما بعد.
- 15- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - بيروت ، 2000 ، ج 2 ، ص 97.

16 - Georges marçais, Les Arabes En Berbérie , Thèse pour le doctorat és lettres , la faculté des Lettres de l'Université de Paris , 1913 , page 40...

- 17- علاوة عمارة، الهجرة الهلالية و إشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي (دراسات في التاريخ الوسيط والغرب الإسلامي) ، ديوان المطبوعات الجامعة ، الجزائر ، 2008 ، ص 12 .
- 18 - Ernest Mercier , Histoire de l'établissement des arabes dans l'Afrique septentrionale selon les documents fournis par les auteurs arabes et notamment par l'histoire de Berbères d'Ibn Khaldoun , Constantine , L.Marle Librairie édition , 1875 , page 313-330.
- علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص 12. 19.
- أ.ف. غوتيه ، ماضي شمال إفريقيا ، ص 225. 20.
- علاوة عمارة ، المرجع نفسه ، ص 13. 21.
- 22- ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق المستشرق أ. م. كاترمير ، المجلد الأول، مكتبة لبنان ، طبعة باريس، 1858 ، ص ص 269 - 270. أنظر أيضًا :علاوة عمارة ، المرجع نفسه ، ص 13.
- 23- سالم حميش ،عن صورة المغرب الوسيط في بعض الدراسات الاستشراقية (المغرب في الدراسات الاستشراقية) ، موضوع الندوة السادسة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، 1993، ص 77.
- علاوة عمارة ، المرجع نفسه ، ص 09. 24.
- روبربرونشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ج 1 ، ص ص 31-33. 25.
- 26- روبربرونشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ج2 ، ص ص 162 - 163.
- علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية و إشكالية انحطاط حضارة المغرب الوسيط ، ص 13. 27.
- الهادي روجي إدريس ، الدّولة الصّنهاجية ، ج1 ، ص 245. 28.
- 29- محمد الهادي الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة (المغرب والأندلس دراسة في التاريخ والاركيولوجية)، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، 2006، ص 101 .
- علاوة عمارة ، المرجع السابق ، ص ص 16-17. 30.
- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج2 ، ص ص 96 -97. 31.
- 32- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتّى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص ص 210-211.
- ألفرد بل ، الفرق الإسلامي في الشمال الإفريقي ، ص ص 211 - 213. 33.
- علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية و مشكلة انحطاط حضارة المغرب الوسيط ، ص ص 13-14. 34.
- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج2، ص 98. 35.

- 36- لأنهم حسب هؤلاء مفسدون و يذكر بأنّ هذا موجود في نوازل المازونيزيكر فتاوي شرعية تقول بوجود محاربة قبيلتي بني سويد و بني عامر أنظر : عبد المجيد مزيان ، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي و الواقع الاجتماعي ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 ، ص 380 و ص 394 . و الطاهر بونابي، ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8/14 م ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، المجلد 06 ، العدد 12 ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 2011 ، ص 150 و ص ص 161-162 .
- 37- أحمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق محمد حجّي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1981، ج2، ص435-436.
- 38- مصطفى السباعي ، الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم ، دار الوراق ، ص 32.
- 39- خالد كبير علّال ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدّم ، ط1 ، دار الإمام مالك ، البليلة ، الجزائر ، 2005 ، ص ص 76-80 (خاصة الجزء الذي أسماه موقف ابن خلدون من العرب)
- 40- ابن خلدون ، المقدمة ، ص ص 269 - 270.
- المصدر نفسه ، ص 41.251
- نفسه ، ص 228 .42
- 43- محمود أحمد أبو صوة ، تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط ، تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في التّاريخ الوسيط قراءة مغايرة ، دار الهدى ، الجزائر، 2002 ، ص 26-28.
- الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة ، ص 44.91
- ابن خلدون ، العبر ، ج6، ص 20.45
- 46- يذكر أنّه في عهد المعز ابن باديس مرّت البلاد بأوضاع مختلفة فبعض الأحيان يعمّ الرّخاء وأخرى تمرّ بسنوات عجاف ، ففي سنة 422هـ تميّزت بكونها سنة خصب و رخاء وكذا الأمر سنة 430 هـ ، أمّا سنة 425 هـ كانت هناك مجاعة شديدة حلّت بالمنطقة ، و في سنة 437 هـ اشتدّت بالمنطقة رياح عاصفة دمّرت كل ما مرّت به من أشجار لشدّتها و قوتها . أنظر: ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق و مراجعة ج.س.كولان و إ . ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 1 ، ص ص 275-276.
- مبارك بن محمد الملي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ص 47.184.

48- ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص 190 . و ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 21. (و لماذا يتم إغفال هذه الحادثة من قبل المستشرقين في أن بنو هلال تعرّضوا لمواجهة شرسة من قبل المعز و جيوشه . وحتى أعدادهم الإجمالية أثارت الكثير من الجدل و حسب بعض الدراسات فهو يتراوح بين 200 ألف و نصف المليون و بعض الدراسات الاستشراقية التي بالغت في العدد مثل جورج مارسيس الذي حدّد عددهم بمليون . أنظر : تقي الدين العلوي ، أصول المغاربة : القسم العربي الهلاليون بالمغربين الأدنى و الأقصى ، مجلة البحث العلمي ، العدد 35 ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، 1985 ، ص ص 399 - 400 .

49- مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت ، ج2 ، ص ص 184-185.

- محمود أحمد أبو صوة ، تاريخ العرب الاجتماعي و الاقتصادي في المغرب الوسيط ، ص 50.24

- عزّي بوخالفة ، تغريبة بني هلال بين التّاريخ و الرواية الشّفهية الهلالية ، ص 51.89

52- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الجزائر ، 1984 ، ج1 ، ص 35
نقلًا عن : محمّد الهادي الشّريف ، الهجرة الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة ، ص 96 .

53- محمّد حجّي ، دراسات المستشرق ألفريد بيل (المغرب في الدراسات الاستشراقية) ، موضوع الندوة السادسة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، مراكش ، 1993 ، ص 130.

54-Réne Basset ، La légende de Bent El Khass ، page 19 . (Mohammed Ben Cheneb ، proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb ، Paris ، 1905.)

55 -Réne Basset ، La légende de Bent El Khass ، page 20-34 .

56- حيث قامت بإنشاء حصون ذات طابع دفاعي و غير مؤسسة بالمفهوم الحضاري ، ذلك النمط الذي فرضته الكثير من الظروف الاجتماعية و الطبيعية التي لا تسمح بالاستقرار أهمها القصر الخاص بها و بقايا آثار لحصن و بعض الآثار لساقية كانت تجلب منها الماء لسقي بعض الأراضي الفلاحية و الأشجار المثمرة ... أنظر : عبد العزيز بوزيد ، بنت الخص بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الشعبية ، مجلة فصول ثقافية ، العدد 02 ، دار الثقافة محمد بلخير ، البيض ، 2008 ، ص ص 07-08 . و القصر مخصّص لبني عامر

المتواجد في جبال بريزينة ... كما أنّ منابع المياه تتبع من أم الماي و عين العامرة . أنظر أيضا :

M.L.De Colombe ، Exploration des ksours et du sahara de la province d'Oran ، Imprimeri ، page 51-54.

- علاوة عمارة ، الهجرة الهلالية و إشكالية انحطاط حضارة المغرب الوسيط ، ص 57.17

58- محمد الهادي الشّريف ، الهجرة الهلالية ... ، ص ص 102-103.

-علاوة عمارة ، المرجع نفسه.59

- محمد الهادي الشّريف ، المرجع السّابق ، ص ص 107-109.60

- المرجع نفسه ، ص 98 .61

- 62- إيف لاکوست ، العلامة ابن خلدون ، ترجمة ميشال سليمان ، ط 2 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2017 ، ص ص 156 - 157 .
- 63- محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص ص 97-98.
- 64- إيف لاکوست ، العلامة ابن خلدون ، ص 156.
- 65- محمد الهادي الشريف ، المرجع نفسه ، ص 99.
- 66- كلود كاهن ، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية ، ترجمة حسين جواد قبيسي ، ط 1 ، مكتبة الفكر الجديد ، بيروت ، 2010 ، ص ص 334-335.
- 67- محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص ص 98-99.

7. قائمة المصادر و المراجع:

أ/- المصادر:

- 1- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962.
- 2- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 2000م ، ج 6 .
- 3- ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق المستشرق أ. م . كاترمير ، المجلد الأول ، مكتبة لبنان ، طبعة باريس ، 1858.
- 4- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق و مراجعة ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983، ج 1.
- 5- الونشريسي أحمد بن يحي ، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، تحقيق محمد حجّي و آخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 ، ج2.

ب/- المراجع:

- الكتب باللغة العربية:

- 6- ابن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب ، 1968 ، ج 1.
- 7- أبو النصر عمر، تغريبة بني هلال و رحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزتاتي خليفة ، ط 1 ، دار عمر أبو نصر وشركاؤه ، بيروت ، 1971 .
- 8- أبوصوة محمود أحمد، تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط ، تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في التاريخ الوسيط قراءة مغايرة ، دار الهدى ، الجزائر ، 2002.

- 9- حسن محمد ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ، تونس ، 1999.
- 10- خضير حسن أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996.
- 11- السباعي مصطفى ، الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم ، دار الوراق للنشر و التوزيع .
- 12- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الجزائر ، 1984 ، ج 1 .
- 13- العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - بيروت ، 2000 ، ج 2 .
- 14- علّال خالد كبير ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدّمة ، ط1 ، دار الإمام مالك ، البليدة ، الجزائر ، 2005
- 15- القوتلي محمد نبيل ، بحث مختصر في أنساب العرب ، ط1 ، دار الباشر ، دمشق ، 1998 .
- 16- مزيان عبد المجيد ، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي و الواقع الاجتماعي ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 .
- 17- موسى أحمد عز الدين ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 هـ ، ط1 ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، 1983.
- 18- الملي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الملي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت ، ج2 .

- الكتب المترجمة:

- 19- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1987.
- 20- إيف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2017.
- 21- برنشفيكروبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 م ، ترجمة حمّادي السّاحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1988 .
- 22- جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999.
- 23- روجي الهادي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ترجمة حمّادي السّاحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992 .
- 24- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، 1983 .

- 25- غوتيه.أ.ف ، ماضي شمال إفريقيا ، ترجمة هاشم الحسيني ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2010 .
- 26- كاهن كلود ، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلالة العثمانية ، ترجمة حسين جواد قبيسي ، ط1 ، مكتبة الفكر الجديد ، بيروت ، 2010 .

- المجلات والدوريات:

- 27- بوزيد عبد العزيز ، بنت الخص بين الحقيقة التاريخية و الأسطورة الشعبية ، مجلة فصول ثقافية ، العدد 02 ، دار الثقافة محمد بلخير ، البيض ، 2008 .
- 28- بونابي الطاهر، ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 14/8م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد06، العدد12، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2011 .
- 29- حجّي محمد ، دراسات المستشرق ألفريد بيل(المغرب في الدراسات الاستشرافية)، موضوع الندوة السادسة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، 1993 .
- 30- حمّيش سالم، عن صورة المغرب الوسيط في بعض الدراسات الاستشرافية (المغرب في الدراسات الاستشرافية)، موضوع الندوة السادسة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، 1993.
- 31- العلوي تقي الدين ، أصول المغاربة: القسم العربي الهلاليون بالمغربين الأدنى والأقصى، مجلة البحث العلمي ، العدد 35 ، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1985 .
- 32- عمارة علاوة ، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي (دراسات في التاريخ الوسيط والمغرب الإسلامي)، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، 2008.
- 33- الهادي الشريف محمد، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة (المغرب والأندلس دراسة في التاريخ والأركيولوجية)، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، 2006.

- الرسائل والأطروحات الجامعية:

- 34- بولغيتي فاطنة ، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، جامعة سيدي بلعباس .
- 35- رحالي محمد علي ، بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي مناطق استقرارها وآثارها من القرن 5هـ-11م-13م مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2018-2019 .
- 36- عزّي بوخالفة، تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، 2002-2003.

الكتب باللغة الأجنبية:

37- Ben Cheneb Mohammed، proverbes arabes de l’Algérie et du Maghreb، Paris ،1905.

38-Ernest Mercier ، Histoire de l’établissement des arabes dans l’Afrique septentrionale selon les documents fournis par les auteurs arabes et notamment par l’histoire de Berbères d’Ibn Khaldoun ، Constantine ، L.Marle Librairie édition ، 1875.

39- Georges marçais, Les Arabes En Berbérie ، Thèse pour le doctorat és lettres ، la faculté des Lettres de l’Université de Paris ، 1913

40- M.L.De Colombe ، Exploration des ksours et du sahara de la province d’Oran ، Imprimerie.

41- Réne Basset ،La légende de Bent El Khass .